مؤسسة الفكر العربي
ARAB THOUGHT FOUNDATION

التقرير العربي الثامن للتنمية الثقافيّة

التكامل العربي: تجارب، تحدّيات وآفاق

- إشكاليات الهويّة العربيّة وتحدّياتها
- التكامل العربي ومشروع الدولة الوطنيّة
- الثقافة العربيّة في إقليم مضطرب
- التعاون الأمني والعسكري في الوطن العربي
- التكامل العربي: الأبعاد الاقتصاديّة
- جامعة الدول العربية.. الواقع والمرتجى

مؤسسة الفكر العربي

حقوق الطبع محفوظة
لمؤسّسة الفكر العربي

لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال من دون إذنٍ خطي من مؤسّسة الفكر العربي.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or any means without prior permission from Arab Thought Foundation.

الطبعة الأولى
2015 م - 1437هـ

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 3496 - 6

سعر الكتاب 25 $

مؤسّسة الفكر العربي
شارع الجامع العمري، الوسط التجاري
ص. ب.: 524 - 11 بيروت - لبنان
هاتف: 00961 1 997100 - فاكس: 00961 1 997101
www. arabthought.org - info@arabthought.org

الإخراج والتنفيذ
أحمد مبارك

الآراء الواردة في هذا التقرير لا تُعبّر بالضرورة عن وجهة نظر مؤسّسة الفكر العربي

كلمة رئيس مؤسّسة الفكر العربيّ

دأبت «مؤسّسة الفكر العربي»، على إصدار تقارير تنموية ثقافية سنوية تختصّ بقضايا عربية محورية، هي من صلب القضايا المُلحّة التي تفرض نفسها على الأمّة، وتتقدّم على ما عداها من قضايا أخرى تشغلها في الصميم.

وما الأحداث والخطوب الجسام التي تضطرب بها أمّتنا، وخصوصاً على مدى السنوات الخمس الفائتة، وحتّى اليوم، إلّا المثل الساطع على ذلك، حيث اختارت المؤسّسة وقائع هذا الانهيار العربي الكبير، وفي كلّ شيء تقريباً، محوراً مركزياً لتقريرها السنوي الثامن للتنمية الثقافية – 2015.

هكذا، لم يعد خافياً على أحد، أنّ المشهد العربي الراهن والمتمادي بمضاعفاته الخطيرة، إن لجهة انقلاب موازين الحياة العربية رأساً على عقب، في السياسة والأمن والاقتصاد والثقافة والمجتمع...إلخ، أو لجهة فقدان البوصلة المؤدّية إلى الحلول العاجلة المطلوبة حتّى الآن، بخاصّة في الدول التي عصفت فيها الانتفاضات، بل الحروب الأهلية الدامية والتي باتت لا تهدّد هذه الدول المنكوبة وحدها فقط، وإنما كيان الأمّة بأسره، كان لزاماً على «مؤسّسة الفكر العربي» معاينة هذه الجائحات الخطيرة، ودراستها في العمق، وتحليل دواعيها وأبعادها ونتائجها، تمهيداً للإسهام مع المسهمين في رسم الحلول الناجعة، والحضّ على تفعيل العمل العربي المشترك من خلال المؤسّسات القائمة، وعلى رأسها جامعة الدول العربية. ومن هنا جاء هذا التعاون المثمر بين «مؤسّسة الفكر العربي» و «الجامعة العربية»، بوصفها واحداً من أبرز المداميك القومية المؤسّسية الجامعة، والتي يراهن كثير من المخلصين في الوطن العربي على عودة الروح إليها، خصوصاً بعد مرور سبعين عاماً على قيامها. وقد وجدت «مؤسّسة الفكر العربي» كلّ تجاوب وتعاون مخلص من جانب القيّمين على هذا الصرح العربي الكبير، ممثّلاً بأمينه العام وجميع العاملين فيه. وفي السياق عينه نرى أن هذا التعاون المشترك سيستمرّ متألّقاً، وكما هو جارٍ الآن، على مستوى الإعداد لمؤتمر «فكر»14، والذي سيعقد في الفترة من 6 إلى 8 ديسمبر المقبل، تحت عنوان «التكامل العربي: تحدّيات وآفاق». وموضوع هذا المؤتمر بأبحاثه ومناقشاته وحواراته التفاعلية، هو الذي يتمحور حوله تقريرنا العربي الثامن للتنمية الثقافية.

ولسنا نعدو الحقيقة إذا قلنا إنّ المنطقة العربية – الإسلامية، هي في طريقها إلى التغيير، ونحن، عرباً، في المحصّلة، «أداة» من يصنع هذا التغيير، إما سلباً أو إيجاباً؛ ووجب إزاء ذلك أن نجتهد ما أمكن،

لنكون في منحى التغيير الإيجابي؛ ولن يتأتّى هذا التغيير الإيجابي إلّا في ضوء العروبة الجامعة.. العروبة الثقافيــة الحضاريــة التي يأتلــف تحت جناحهــا كلّ المختلفين في السياســة والمعتقد والــرأي والتوجّه، باعتبارهــا هي الهويّــة الواحدة والموحّدة في تنوّعها، والتي تعكس الترابــط العضوي الجذري والتكويني للشخصية العربية، كما تعكس شعور العرب بوجودهم الاجتماعي والتاريخي والثقافي والحضاري العام، وباعتبارها حالة عقلانية ووجدانية راســخة أيضاً، يعيشــها الفرد العربي وتُميّزه كهويّة عن ســائر هويّات الآخرين في هذا العالم.

بوجيــز العبارة، إنّنــا مدعوّون كعرب جميعاً، مهمــا اختلفت آراؤنا ووجهات نظرنــا، إلى أن نكون على وعي نافذ لما يدبّر لنا كأمّة عريقة، أعطت البشــرية الكثير.. الكثير، قبل أن تُصاب بما هي مُصابَة به اليوم من ترهّل وتشــرذم؛ وبالتالي العمل ما أمكن على ســدّ هذا الفراغ المُدوّي على مســتوى السياسات القومية العروبيّــة الجامعــة، والبحث في مصالح الأمّة قبــل أيّ اعتبار آخر، ومغادرة، بالتالــي، مربّع، إمّا أن نكون متفرّجين أو ضحايا.

وربما لأجل ذلك، كان هذا التقرير بورشِــهِ المتنوّعة، والتي تحمل عناوين المرحلة في أسئلتها ومحاولة معالجاتهــا: الهويّة، الدولة الوطنية، الأمن، الاقتصاد، الثقافة، فضلاً عن مكوّنات العمل العربي المشــترك، وفــي الطليعــة بينها، جامعة الدول العربية والدور المنوط بها مجــدّداً، انطلاقاً من أنّها لا تزال، على الرّغم من النقد الموجّه إليها، الإطار العام الذي لا غنىً عنه على درب العمل العربي المشترك.

فشكراً للأمانة العامة لجامعة الدول العربية على تعاونها البنّاء مع المؤسّسة، وتحيّة لكلّ من أسهم في إنجــاز هذا التقرير العربي الثامن، من داخل «مؤسّســة الفكر العربــي» ومن خارجها، خصوصاً المفكّرين والمنسّــقين والخبراء المعنيّين، علاوة على أســرة التحرير، وفريق التقنيّين والفنّيين ممَّن أسهموا وسهّلوا ولادة هذا السفر الفكري المعتبَر.

والله جلّ ثناؤه الموفّق

خالد الفيصل

د. نبيل العربي
الأمين العام لجامعة الدول العربيّة

كلمة جامعة الدول العربيّة

منذ نشــأة جامعة الدول العربية قبل ســبعين عاماً خلت، ظلّ الهاجس الأساســي لمؤسّســيها وقادتها، يتمثّــل فــي كيفية إيجاد نظم وآليات تتيح أكبر قدرٍ ممكنٍ من التعــاون العربي في المجالات المختلفة، بما يخلق مصالح مشــتركة بين البلدان العربية، لا يمكن فصم عراها، ويجعل الاتّحاد والتكامل العربي حقيقة ماثلة.

وظلّ هذا الانشغال بقضايا توثيق الصلات بين الدول العربية، شعوباً وحكومات، يمثّل حيّزاً واسعاً في عمل جامعة الدول العربية، وذلك وفقاً لما نصّ عليه ميثاق جامعة الدول العربية في مادته الثانية: «الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشــتركة فيها، وتنســيق خططها السياسية، تحقيقاً للتعاون بينها وصيانة لاســتقلالها وسيادتها، والنظر بصفة عامّة في شــؤون البلدان العربية ومصالحها»، وخلال سعي الجامعة المســتمرّ لتطوير عملها وتجويد أدائها، اعتمدت في ذلك على توسيع قاعدة شراكاتها مع مختلف ألوان الطيف في المجتمعات العربية، شــملت مؤسّســات ومفكّرين وباحثين وناشطين للاستعانة بفكرهم وخبراتهم ورؤاهم، ولكونهم أيضاً مشغولين بالمصير العربي.

ومن بين المؤسّســات التي ربطتنا بها عرى وثيقة في المســعى من أجل تطوير منظومة العمل العربي المشترك، «مؤسّسة الفكر العربي»، وعلى رأسها صاحب السموّ الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز آل ســعود، ذلك أنّ هذه المؤسّســة انشغلت منذ تأسيســها بإيجاد مناخ جديد للحوار بين القوى الحيّة في المجتمــع العربــي، يقــوم على التفاعل بيــن مختلف التيّارات والمــدارس الفكرية في حــوار خصب تحدّد مســاراته تحقيق المصالح العربية، ومناصرة قضاياه، والانحياز للإنســان العربي ولهويّته وثقافته، وقبل هذا وذاك رفاهه الإنساني، وتقدّمه وارتياده لآفاق المستقبل باقتدار.

وحرصت جامعة الدول العربية على تعزيز التعاون مع «مؤسّسة الفكر العربي»، كونها قادرة على إبراز القضايــا الكبرى التي تهمّ الشــأن العربي العام، ووضع أفكار ورؤى من خلال عملها البحثي الذي يتّســم بالواقعية والفاعلية، ويمكن من خلال ترجمتها على وضع الخطط والبرامج والاســتراتيجيات التي تُرســي دعائم التعاون العربي، ولذلك نحن حرصاء على استمرار التعاون مع «مؤسّسة الفكر العربي» كونها مؤهّلة للإسهام الجادّ في مسيرة تطوير العمل العربي المشترك.

أ. د. هنري العَويط
المدير العام لمؤسّسة الفكر العربي

في دواعي هذا التقرير ومضامينه ومراميه

خاضت مؤسّسة الفكر العربيّ هذه السنة تجربةً جديدة، وهي تتطلّع إلى أن تغدو تقليداً راسخاً في أسلوب عملها. فقد نظّمت على مدى أسبوعين، من 31 أغسطس/ آب حتّى 13 سبتمبر/أيلول، ستّ ورش عمل، بمعدّل أربع جلسات توزّعت على يومَين للورشة الواحدة، وخُصّصت كلٌّ منها لمعالجة جانب من جوانب مسألة التكامل العربيّ. وهذا التقرير العربيّ الثامن للتنمية الثقافيّة الذي تضعه المؤسّسة في متناول المعنيّين و المهتمّين هو حصيلة الورش التحضيريّة الستّ .

أمّا موضوع التكامل، فلا تخفى أهميّته المركزيّة، على الصعيدَين العالميّ والعربيّ. وتمّ اختياره موضوعاً محوريّاً للتقرير، من جهة، في ضوء ما تشهده المنطقة العربيّة من أحداث جسام، وما تعانيه دولها من صراعات وانقسامات وتشرذم تُعرّض لأشدّ المخاطر هويّتَها وكيانَها ووحدةَ أراضيها وسلامةَ مواطنيها، وفي ضوء ما تواجهه أيضاً من تحدّيات مصيريّة تتهدّد وجودها وبقاءها؛ وتمّ اختياره، من جهةٍ ثانية، لمناسبة الذكرى السبعين لتأسيس جامعة الدول العربيّة (1945 – 2015). وفي هذا الإطار حرصت المؤسّسة على عقد ورش العمل بالتنسيق مع الأمانة العامّة لجامعة الدول العربيّة، وفي مقرّها بالذات. والحقّ يُقال إنّ تعاونهما كان بنّاءً ومثمراً، أسّس لمرحلةٍ جديدة من العمل العربيّ المشترَك، وأفضى إلى الارتقاء بالتعاون إلى مرتبة الشراكة التامّة، التي تجلّت في صيغة الدعوة المشترَكة إلى مؤتمر «فكر» الذي دأبت المؤسّسة على عقده سنويّاً، كما في الصيغة المعتمدَة هذا العام لتنظيم فعالياته.

وكان بالإمكان اختيار مصطلح «الوحدة العربيّة» عنواناً للورش وللتقرير. وعلى ما لهذا المفهوم من عراقة في التداول، وقدرة على دغدغة الأحلام، تسوّغان اعتماده، فإنّنا فضّلنا عليه مصطلح «التكامل»، إدراكاً منّا أنّ الأوّل يدلّ على مشروعٍ متحقّق ومنجَز، وكلّنا يعرف انقطاع صلة هذا الحلم بالواقع، وأنّ واقع الوطن العربيّ يكاد يكون اليوم على نقيض ذلك تماماً؛ في حين يرتبط الثاني بفكرة المشروع، ويدلّ على الانخراط في مسارٍ نحو الهدف المنشود، ويعني أنّ المسيرة تتطلّب درجةً عاليةً من الوعي والمسؤوليّة، وقدراً كبيراً من الإرادة والتصميم والالتزام، فضلاً عمّا تشترطه من تخطيطٍ واستراتيجيّات، وما تتضمّنه من مراحل ومحطّات، وما تستتبعه من آلياتٍ وإجراءات، وما تقتضيه من تعاضدٍ وتشبيك.

يتضمّن عنوان التقرير الأبعاد الفكريّة والزمنيّة الثلاثة. فالتجارب تشير إلى المراجعة النقديّة التي لا بدّ من إجرائها لخبرة الماضي، بنجاحاتها وتعثّراتها وإخفاقاتها. وإنّ لعرض التجارب التي حفل بها

سجلّ السنوات السبعين المنصرمة، أهميّةً وفائدة، لا للتغنّي بإنجازاتها أو لنقد أخطائها وفرصها المضيَّعة فحسب، بل لنستخلص منها العِبَر التي تضيء أمامنا سُبُل الإصلاح والنهضة. وتشير التحدّيات إلى الأوضاع المأسويّة الراهنة التي تعيشها أوطاننا، والتي تشكّل معوّقات في طريق التكامل، ولكنّها تمثّل في الوقت نفسه فُرَصاً حقيقيّة إذا أحسنّا تدبّرها والتعامل معها بفطنةٍ وحسن دراية. وأمّا الآفاقُ، فهي النوافذ المفتوحة على المستقبل، لاستشرافه ورسم خريطة الطريق إلى بنائه، إيماناً من «مؤسّسة الفكر العربيّ» بأنّ مسؤوليّتها ومسؤوليّة المثقّفين والمفكّرين، ودورَها ودورَهم، إنّما يكمنان في إثارة الوعي بالصعوبات، وفي التحفيز على التصدّي لها وتجاوزها والتغلّب عليها. وإيماناً منها أيضاً بأنّ مفاهيم التعاون والتعاضد والتضامن، ليست قيماً أخلاقيّة أو مبادئ دينيّة فحسب، بل هي أيضاً التزاماتٌ مواطنيّة، وأنّ فيها مصلحةً متبادلة للأطراف كافّةً، على قاعدة الشراكة والترابح. ولعلّ من أهمّ ما يطمح إليه هذا التقرير، بناء ثقافة التكامل، والإعلاء من شأنها، ونشرها وتعميمها، وتعزيزها وتوطيدها.

يتألّف التقرير من ستّة أبواب، يختصُّ كلّ واحدٍ منها بجانبٍ من جوانب التكامل، أو عنصرٍ من عناصره، أو أداةٍ من أدوات تحقيقه. وما عدا بعض التباينات الطفيفة، فإنّ الباب الواحد يشتمل على نصّ تمهيديّ وأربع أوراق بحثيّة. أمّا النصّ التمهيديّ فقد وضعه منسّق الورشة التي يرتبط بها البابُ المعنيّ، ونصّه يجمع بين الورقة الخلفيّة المرجعيّة، التي ضمنّها تصوّره للمسائل التي يمكن أن تتطرّق الورشة لها، ورسمت بالتالي توجهّاتها وخطوطها الكبرى، وبين الورقة التوليفيّة التي استرجعت بصورةٍ مكثّفة ما فصّله المختصّون في أوراقهم البحثيّة من أفكار رئيسة، وقاموا بعرض مضامينها في جلسات ورش العمل، ثمّ راجعوها وأدخلوا عليها تعديلاتٍ وإضافات في ضوء الملاحظات التي أبداها الخبراء المشاركون في الورشة. وتمّ إدراج عددٍ من الوثائق الخاصّة بجامعة الدول العربيّة، كملاحق في آخر التقرير.

ومع أنّ أبواب التقرير قائمةٌ بنفسها، ويشكّل كلٌّ منها ملفّاً مستقلّاً، فإنها في حقيقة الأمر متكاملةٌ، مترابطةٌ، بل متداخلة.

ومردُّ ذلك أوّلاً إلى هيكليّة بنائها المتجانسة، والمنهجيّة الموحّدة التي اعتُمِدَت في تأليف نصوصها، إن لجهة تعدّد اختصاصات أصحابها، أو لجهة العناصر المشترَكة في المقاربات التي استخدموها، وكلّها توجّهاتٌ أثبتت ضرورتها وفاعليتها وجدواها.

ومردّ ذلك أيضاً إلى أنّ كلّ مبحثٍ من مباحث هذا التقرير، وكلّ بابٍ من أبوابه، طرح، بصيغ مختلفة، وأنماط مختلفة، الأسئلة المحوريّة نفسها:

ماذا نعني بالضبط بمفهوم التكامل عامّةً، وتحديداً بالتكامل في المجال الثقافيّ أو الاقتصادي أو الأمنيّ والعسكريّ، أو بين المكوّنات المتعدّدة والمنوّعة للهويّة الواحدة الجامعة، أو في ما يتعلّق بأسس بناء الدولة الوطنيّة، أو على صعيد العمل العربيّ المشترك في إطار جامعة الدول العربيّة؟

وما هي منطلقات هذا التكامل، ودواعيه، ومسوّغاته، وحوافزه، وضروراته، وأهدافه ومراميه؟

وما هي عناصره ومجالاته ومظاهره وتجليّاته؟

وما هي معوّقاته وإشكاليّاته وتحديّاته ورهاناته؟

وما هي، على وجه الخصوص، أبعاده وآفاقه وفرص نجاحه وتحقّقه؟

ومـردّ ذلـك آخراً وليس أخيراً إلى أنّ طبيعـة الموضوعات المختارَة والقضايـا المعالجَة هي على درجةٍ كبيرة من الارتباط العضويّ والتشـابك الشـديد. لقد كانت هذه السـمة بارزة للعيان أثناء الورش المتتالية، ويمكننا أن نتبيّنها أيضاً بوضوح من خلال قراءة التقرير. فلو أخذنا، على سـبيل المثال، الباب المخصّص للتكامل الأمنيّ والعسكريّ، سيتّضح لنا أنّ القضايا التي تناولها تمثّل الملفّات الساخنة والمخاطر الجسيمة والتحدّيـات الكبرى التي تواجههـا دولنا ومجتمعاتنا، وهي قضايا بالغة الأهميّة والخطورة وتسـتحقّ في ذاتها دراسـاتٍ مسـهبة ومعمّقـة. ولكن كيف لنا أن نتجاهل انعكاسـاتها البالغة علـى الملفّات التي دارت عليها الأبواب الأخرى، وكيف لنا أن نغفل عن حقيقة أنّ الاستقرار الأمنيّ والقضاء على الإرهاب هما الشرط الأساسـيّ والمدخل السـليم لكلّ ازدهارٍ اقتصاديّ، وتنميـة مجتمعيّة، ونهضةٍ فكريّـة وثقافيّة، وللتفاعل الحضاريّ بين مكوّنات الهويّة الجامعة، ولمشـروع بنـاء الدولة الوطنيّة، ولتحقيق أهداف التكامل العربيّ الذي من أجله أُنشئت جامعة الدول العربيّة؟

وغنيٌّ عن البيان أنّ المؤسّسة تدرك تماماً أنّها ليست أوّل من أولى مسألة التكامل العربيّ عنايتَه واهتمامَه؛ فالندوات والمؤتمرات التي عُقدت حولها، والمقالات والمؤلّفات التي تناولتها بالبحث والدراسات، والهيئات والمنظّمات والمجالس والاتحّادات التي أُنشئت على اسمها، تكاد لا تُعدُّ ولا تُحصى.

ولذلك فإنّ القارئ الحصيف سيلاحظ، على الصعيد اللغويّ، الاختلافَ بين صيغة التعريف التي اعتُمِدت في عنوان التقرير الرئيسيّ «التكامل العربيّ»، وصيغة التنكير التي استُخدِمَت في عنوانه الفرعيّ «تجارب، تحدّيات، آفاق». فالتكامل هو الهدف الأقصى والأسـمى الذي نتوق إليه، ويتعيّن علينا أن نسعى إلى بلوغه، وهو يسـتحقّ بالتالي أن نثبّته بصيغة الإطلاق، لإبراز ما ينبغي أن يتسّم به، في نهاية المطاف، من كليانيّة وشمول. أمّا ما يستعرضه هذا التقرير من تجارب، وما يسلّط عليه الضوء من تحدّيات، وما يرسمه من آفاق، فهو بالضرورة جزئيّ ومحدود ومرحليّ، لا يغطّي الجوانب كلَّها ولا يدّعي بالتأكيد الإحاطةَ التامّةَ بها. فلم يكن من الممكن ولا المستحبّ أن نتقصّد الاستقصاء، بل أن نقتصر، للتمثيل على كلّ بُعدٍ من الأبعاد الثلاثة، على عيّنةٍ مختارة ودالّة. وإنّ في توجّه المؤسّسـة إلى تبنّـي موضوع التكامل كقضيّةٍ محوريّة ومفتوحة، وهدفٍ مسـتدام، مـا ينمُّ على هذا الوعـي لأهميّته وصعوبةِ إشـباعهِ في تقريرٍ واحد، وما يسـمح بالنظر إلى هذا التقرير باعتباره يشـكّل فاتحة سلسـلةٍ من التقارير، ستسـتكمله وتطوّره وتوسّـع نطاقه ومداه، وتضاعف بالتالي الفائدة المرجوَّة منه.

تجدر الإشارة إلى أنّه ما كان لهذا التقرير أن يُبصر النور لولا تضافر جهود كثيرين، من داخل «مؤسّسة الفكر العربيّ» ومن شـبكة المتعاونين معها في خارجها. فلقد حظي مشـروعه، منذ لحظاته الأولى، وعلى امتداد مراحل تنفيذه، برعاية خاصّة من رئيس المؤسّسـة، ودعمٍ كبير من مجلس أمنائها ومجلس إدارتها. وشـارك في صوغ محتوياته نخبةٌ من كبار المثقّفين والمفكّرين الذين ينتمون إلى مختلف الاختصاصات والبلدان العربيّة، وفي طليعتهم:

منسّقو الورش، الذين تولّوا الإعداد لها، وكتابة أوراقها الخلفيّة والتوليفيّة، واختيار موضوعاتها، واقتراح أسماء واضعي الأبحاث المرتبطة بمحاورها وأسماء الخبراء المشاركين فيها، فضلاً عن إدارة جلساتها؛

ومعدّو الأوراق البحثيّة، الذين قدّموا نصوصاً غنيّةً بالمعلومات والمعطيات والإضاءات والرؤى، ومحفّزة على التساؤل والتفكير، ثمّ قاموا بمراجعتها وتطويرها في ضوء المداولات المستفيضة التي تمّت في الجلسات، والملاحظات التي أُبديت، والاقتراحات التي عُرضت؛

والخبراء المشاركون في الورش، الذين أثروها بخبراتهم وآرائهم، وبمناقشاتهم التي سادتها أجواء من المكاشفات الصريحة، وتميّزت بالموضوعيّة في توصيف الواقع، والعمق في الطرح، والمسؤوليّة في توخّي الخير العامّ؛

والمساعدون التقنيّون الذين دوّنوا محاضر الجلسات بكفاءة ودقّة وأمانة.

وأمّا الدعم الذي وفّرته جامعة الدول العربيّة، على شتّى المستويات وفي المجالات كافّةً، أميناً عامّاً، وأمناء عامّين مساعدين، ومسؤولين عن مختلف الدوائر والقطاعات والوحدات، وفنيّين، فكان له القسط الوافر في إنجاح الورش التحضيريّة لهذا التقرير وتمكينها من تحقيق أهدافها.

ولعلّه من المستحسن، في هذا السياق، التذكير بأنّ «مؤسّسة الفكر العربيّ» لطالما أكّدت أنّها لا تملك سلطة اتّخاذ القرار على المستوى الرسميّ، ولا تراودها الرغبة في التمتّع بهذه الصلاحيّة. ولكنّها ترى أنّ الأسس التي قامت عليها والرسالة التي تضطلع بها والأهداف التي تنشدها ترتّب عليها مسؤوليّة الإسهام، ضمن حدود إمكاناتها وطاقتها، في إثارة القضايا ذات الطابع المصيريّ والملحّ، وطرح الأسئلة الجوهريّة المرتبطة بها، ورسم المسارات التي من شأنها أن تؤول إلى صياغة أجوبةٍ ملائمة عنها، وبلورة الاقتراحات والتوصيات التي يؤمَل أن تفضي إلى اجتراح الحلول الناجعة التي يمكنها المساعدة في تلمّس سُبُل الخروج من النفق المظلم والتغلّب على الأزمات الخطيرة المتفاقمة.

أمّا مسؤولية تبنّي الاقتراحات المقدَّمة واعتماد الحلول المعروضة وترجمة الأفكار والرؤى إلى خطط واستراتيجيات ومشروعات، فتقع على عاتق صنّاع القرار في القطاعَين الرسميّ والخاصّ، فضلاً عن الدوائر المختصّة في جامعة الدول العربيّة.

ومع أنّنا في المؤسّسة من دعاة الالتزام بالموضوعيّة في توصيف الواقع، والتحلّي بالواقعيّة في تمثّل التطلّعات، فإنّنا نأبى الاستسلام إلى دواعي الإحباط والعجز واليأس – على وفرتها –، لأنّنا مؤتمنون على إبقاء شعلة الأمل مضاءة، وعلى الدعوة إلى المشاركة في السعي إلى توفير الشروط والظروف التي تسوّغ التمسّك بالأمل، وتُحدث التغيير المأمول، وتُحقّق النهضة المرجوَّة.

وإنّ هذا التقرير يطمح إلى تجسيد هذه الرؤية وهذا الالتزام، فعسى أن يوفَّق في بلوغ مقصاده ومراميه.

المحتـويـات

الباب الأول

إشكاليّات الهويّة العربيّة وتحدّياتها

هويّات في شراكة على قاعدة المواطنة الثقافية 25

الهويّة المغربيّة بين روما والإسلام 43

أفكار حول تجديد الفكرة العربيّة 57

تحدّيات الهويّة في العالم العربي الراهن 69

الباب الثاني

التكامل العربي ومشروع الدولة الوطنيّة

الدولة الوطنية: المواجهة قائمة منذ مئة عام 81

العقد الاجتماعي والدولة الوطنية 89

التنمية والإصلاح الاقتصادي في الوطن العربي 103

الدولة الوطنية العربية.. أزمة مرشّحة للاستمرار 115

المواطن والدّولة الوطنية العربية: المفهوم والإشكالية 127

الباب الثالث

الثقافة العربية في إقليم مضطرب

الثقافات العربية في إقليم مضطرب 145

واقع المشهد الثقافي في دول مجلس التعاون الخليجي 173

الثقافة العربيّة وواقع الاحتراب في بلاد الشام والعراق 187

ملامح السياسة الثقافية في مصر خلال العقود الأخيرة 199

الباب الرابع

التعاون الأمني والعسكري في الوطن العربيّ

الأمن القومي العربي في واقعه وأبعاده 235

خبرات التنسيق والتكامل بين الدول العربية في مجال الأمن الداخلي 243

نحو بناء قوّة عربيّة مشتركة كأداة رافعة للتكامل 263

مستقبل التنسيق والتكامل العربي في المجالَين الأمني والعسكري 285

التكامل العسكري العربي: ضرورة حيويّة في عالم متقلِّب 295

الباب الخامس

التكامل العربي: الأبعاد الاقتصاديّة

نظرة عامة على التكامل الاقتصادي وقضايا إصلاح الاقتصادات العربيّة 309

تحقيق السوق العربية المشتركة 325

الصناعة التحويليّة رافعة التنمية الاقتصاديّة العربيّة 345

عناصر الإنتاج والتكامل الاقتصادي العربي 375

الفساد كأحد مسبّبات التدهور الاقتصادي والاحتقان الاجتماعي 393

الباب السادس

جامعة الدول العربيّة.. الواقع والمُرتجى

إصلاح الجامعة العربية من إصلاح النظام العربي 423

جامعة الدول العربية والمجتمع المدني 431

إصلاح الجامعة العربيّة.. ملامح مقاربة تكامليّة 445

الدولة القطرية في مواجهة الجامعة العربية 457

العمل العربي المشترك وثنائيّة القول والفعل 477

الجامعة العربية.. بين تحدّيات الإخفاق وجهود الإصلاح 485

الجامعة العربية: وثائق وبيانات

ميثاق جامعة الدول العربية وملحقاته
الميثاق بنسخته التاريخية
بروتوكول الإسكندرية
معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي وملحقها العسكري
بروتوكول إضافي لمعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي
تقرير اللجنة المستقلّة لإصلاح جامعة الدول العربية وتطويرها
ميثاق الوحدة الثقافية العربية
وثيقة التطوير والتحديث في الوطن العربي – قمة تونس **2014**
قائمة تواريخ انعقاد القمم العربية
قرار إنشاء السوق العربية المشتركة

الباب الأول

إشكاليّات الهويّة العربيّة وتحدّياتها

المنسّق

د. سمير مرقس

معدّو الأوراق البحثيّة

د. أحمد سراج
د. خالد زيادة
د. عبد الله ولد أباه

الخبراء المشاركون في الورشة

د. أحمد إيهاب جمال الدين
أ. الفضل شلق
د.نهى بكر
أ.جميلة عيد الرويلي
د. محمد المعزوز
أ.هشام جعفر
د. زياد الدريس
د. محمد سامح عمر
أ. وفاء صندي
د. عبد اللطيف عبيد
أ. مرح البقاعي
د. وليد السّيف
د.عماد أبو غازي
د. نبيل عبد الفتّاح
د. يوسف الحسن

المساعد التقنيّ

الأستاذة نوران أحمد

مدخل

هويّات في شراكة على قاعدة المواطنة الثقافية

د. سمير مرقس* - مصر

يُعَدّ مفهوم الهُويّة أحد المفاهيم الإنسانية الكبرى التي انشغل بها العقل البحثي والمعرفي تاريخياً، وإلى الآن. لذا كانت الحصيلة المعرفية لهذا الانشغال، وعلى مدىً زمنيٍّ ممتدّ، أن تعدّدت تعريفات الهويّة، كما المقاربات والمعالجات المتنوّعة التي تحاول فكّ شفرتها. ونقول شفرة، نظراً لأنّ الإنسان كان محوراً وموضوعاً للهويّة – في الأساس- وتجلّياً لها في علاقات متعدّدة المستويات، وسياقات ذات طبيعة متنوّعة، وتفاعلات مختلفة. وعليه، تشكّلت تجلّيات عدّة للهويّة: أولاً: بالإنسان منفرداً، وثانياً: بالإنسان في إطار علاقاته بمَن حوله، وحركته في دوائر الانتماء المتعدّدة التي ينتمي إليها، وثالثاً: بالتحوّلات التي طرأت على الواقع والمجتمع وانعكاس ذلك على الإنسان. وفي كلّ مساحة «تجلٍّ هويّاتية»، مما سبق ذكره، سوف نجد منظومة قِيميّة وسلوكية تَتبلوَر، وتميّز الإنسان منفرداً، والإنسان ككائن اجتماعي، والإنسان في إطار التغيّرات المجتمعية المستجدّة. الأهمّ أنّ هذه المنظومة ليست ثابتة بل تتعرّض هي نفسها إلى تغيّرات بحسب تغيّر السياق المحيط.

وبالنتيجة، بات مفهوم الهُويّة من الثراء الذي جعله موضوعاً لكثير من الحقول المعرفية الكلاسيكية والمحدثة المتداخلة. وبحسب أحد الباحثين فلقد: «أثبتت المعالجة المفهوميّة للهويّة استبطانها خصوبة ديالكتيكيّة» حيث إنّ طبيعة «مفهوم الهُويّة الفضفاض والعائم تمكّنه من الارتحال بيسر ومرونة، من سجلّ لآخر. ولهذا تنبسط مباحثها في كلّ الاتجاهات، وتقع في مفترق الطرق اختصاصات عدّة: فمن الهُويّة كمنطق صوري ورمزي يلاحق مواطن التناقض في الأشياء(موضوع علم المنطق)، إلى الهُويّة كبحث عن وحدة مفترضة للوجود تلاحق بدورها مواطن الكثر والحركة، باحثة عن أصل مرجعي ثابت(موضوع الميتافيزيقا)، وصولاً إلى تمثّل العلوم الإنسانية المشترك لمسالة الهُويّة باعتبارها آليات إثبات وجود فردية ومكتسبة، لا صلة لها

* باحث وكاتب، عضو شرف مدى الحياة في مجلس إدارة الأكاديمية النرويجية للآداب وحرّية التعبير وحائز على دبلومها العلمي وجائزتها. وزير سابق. له عدد من الكتب وعشرات الأبحاث في المسألة الدينية وفي السياسة وفي المواطنة. حائز على العديد من الشهادات الأكاديمية في الآداب وحرّية التعبير، وفي إدارة المعلومات، وفي التنمية السياسية. مساعد سابق لرئيس الجمهورية في شؤون التحوّل الديمقراطي، وعضو مؤسِّس للفريق العربي للحوار الإسلامي المسيحي.

بإحراج الماهيّة أو الأصل أو السكون».[1]

1 . الهُويّة: المصطلح

«من أنا»؟، و«من نحن»؟، هما السؤالان الأساسيّان في حديث الهويّة. وقد انشغل بالإجابة عنهما الفكر الإنساني والعربي تاريخياً. ومع كلّ أزمة تواجه الإنسانية، سواء في إقليمنا العربي، أم الأرينا الكونية، يستنفر العقل العربي والإنساني في محاولة لتجديد النصّ «الهويّاتي» وجوهره المركّب، بما يمكّن الإنسان/ المجتمع من أن يتعايش مع واقعه.

السؤال الفلسفي حول الهُويّة بدأ قبل سقراط «المتسائل الكبير». فلقد انتبه الأوّلون من الفلاسفة إلى كيف يمكن تفسير الهُويّة ووصف ذات الشخص، وإلى أنّ الواقع دائم التغيّر، فهل تتغيّر هويّة الشخص تبعاً لذلك. ونذكر في هذا المقام مقولة هيراقليطس الشهيرة: «نحن لا نغطس مرّتين في الوادي نفسه»، إشارة إلى أنّ المياه دائمة التغيّر وأنّ المرء في غطسه الأول يختلف، قطعاً، عن مرّة الغطس الثانية. واجتهد في المقابل الفلاسفة العرب مثل: الجرجاني وابن رشد، والفارابي، بصورة مجرّدة، في تعريف معنى الهُويّة. ويشير الفارابي إلى أن: «هويّة الشيء: عينيّته، وتشخّصه وخصوصيّته ووجوده المتفرّد له الذي لا يقع فيه إشراك».

وخلص العقل الفلسفي الإنساني إلى تعريفٍ موسوعيّ، للهّويّة، انطلق من الأصول اللاتينية، فحواه: «الشيء نفسه، أو الشيء الذي هو ما هو عليه، أي أنّ الشيء له الطبيعة نفسها التي للشيء الآخر». كما اتّفق موسوعياً على تعريفٍ موسوعيّ للهُويّة نصّه ما يلي: «مجموع المواصفات التي تجعل من شخص ما هو عينه شخصاً معروفاً أو متعيَّناً Identified".[2] إذن، الهُويّة هي تعبير عن الماهية، أو حقيقتها المعبِّرة عنها، حيث تتّحد الصفة بالموصوف في تشخّص متفرّد لا إشراك فيه".

هذا التعريف الموسوعي/المدرسي - الذي يبدو محايداً- هو خلاصة التساؤل الذي طُرح على مدى العصور منذ الفلسفة اليونانية مروراً بالفلسفة العربية وفلسفة التنوير حتّى منتصف القرن الثامن عشر، تاريخ انتقال المجتمع الإنساني إلى الزمن الصناعي حيث طال التحديث كلّ شيء. وعليه، لم يعد سؤال الهُويّة سؤالاً فلسفياً مجرّداً بقدر ما أصبح سؤالاً يرتبط بالإنسان في علاقته المركّبة بذاته، وسياقه الجديد المختلف كلّياً عمّا قبل.

أسهم الاجتهاد الفلسفي[3] حول الهُويّة في تحديد إطار حاكم لاتجاهات النقاش، وخصوصاً مع تعدّد الحقول المعرفية التي بدأت تتناول المصطلح مثل: علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الاجتماع السياسي/ الديني، والأنثروبولوجيا...إلخ. فبدأ الحديث عن «مبدأ الهُويّة»، وعن

تشكّلت تجلّيات عدّة للهويّة: أولاً، بالإنسان منفرداً.. وثانياً، بالإنسان في إطار علاقاته بمَن حوله، وحركته في دوائر الانتماء المتعدّدة التي ينتمي إليها.. وثالثاً، بالتحوّلات التي طرأت على الواقع والمجتمع وانعكاس ذلك على الإنسان

1 تشير أدبيات الهويّة إلى هذا التداخل بين الحقول المعرفية حول مفهوم الهويّة، الذي يجب أن يُقرأ في ضوء ما استجدّ من متغيّرات في الواقع على المستويات القومية والإثنية والطبقية...إلخ، والتحوّلات الكونية من ثورات غير مسبوقة في التاريخ الانساني (تضاعف المعرفة، تجدّد التكنولوجيا) ما كان له أثره على بنية الدولة الحديثة، والمؤسّسات المدنية، والكيانات العابرة للحدود... إلخ، وفي القلب من كلّ ذلك الإنسان: الفرد، والإنسان: الجماعة/المجتمع، والإنسان: العولمي...

2 الهويّة في اللغة العربية مصدر صناعي مركّب من هو ضمير المفرد الغائب المعرَّف بأداة التعريف "ال"، ومن اللاحقة المتمثلة بال "ي" المشدّدة وعلامة التأنيث، أي "ة". وفي الفرنسية والإنجليزية واللاتينية يعني لفظ"Iden"، أو "Iden"، ضمير الإشارة للغائب يعنى هو ذاته". راجع عفيف البوني، "في الهويّة القومية العربية"، من كتاب **في الهويّة وقضاياها في الوعي العربي المعاصر**، مركز دراسات الوحدة العربية، 2013.

3 نشير إلى مساهمات كلّ من: دافيد هيوم الفيلسوف الإسكتلندي(1711- 1776)، وعمله **بحث في الفهم البشري**، وجون لوك الفيلسوف الإنجليزي(1632-1704) في نقده لديكارت من خلال عمله: «**رسالة في الفهم البشري**»، حيث تناولا إشكالية الهويّة وأهمّية الذاكرة في الحفاظ على الهويّة. «فأنا هو أنا/ أو أنا هو نفسه من كان قبل سنوات...

«التشـخّص»، وعـن الهُويّة الجمعيّة»، وفلسـفة الهُويّـة»، وعلاقات الهُويّة بـكلٍّ من: «العنف»، والتعدّديـة الثقافية»، و«الصراعات الإثنية»...إلـخ. وتعقّد حديث الهُويّة أكثر فأكثر عندما أصبح للهويّات «تعبيراتها السياسية» من جهة، ومؤسّساتها، وأبنيتها القانونية من جهة أخرى.

في هذا السـياق، نشـير إلى أهمّية إريك أريكسـون(1902- 1994)،عالم النفس الشهير[4]، ودوره في تطوير الفهم للهويّة وإسـهامه في التقاط «أزمة الهويّة» في الواقع، وتحرير مفهوم الهُويّة من هيمنة الفلسفة لزمن طويل ممتدّ. هذا العالِم الذي تكوّن في مدرسة التحليل النفسي، غـادر في العـام 1933 فيينا - حيث تابع دروس آنـا فرويد - باتّجاه الولايـات المتّحدة. وهناك اكتشـف الأعمال الأنثروبولوجية للمدرسـة الثقافوية، وكان ذلك دافعاً له لتطوير أسـس نظرية فرويد في مجال العلوم الاجتماعية. وفي الوقت نفسـه، كانت مدرسـة «الثقافة والشـخصية» - بعلمائهـا الأنثروبولوجيّـين كأبرام كاردينـر أو مارغريت ميد- تعكف على دراسـة العلاقة بين النماذج الثقافية لمجتمع معيّن وأنواع الشخصية السائدة بين الأفراد الذين يشكّلون هذا المجتمع. وهي المدرسـة التي اسـتفاد منها إريكسـون، بخاصّة في ثلاثينيّات القرن الفائت، حيث عمل في المحميّـات الهندية لقبائل السـيو بداكوتا الجنوبية، وفي قبيلة يوروك في كاليفورنيا الشـمالية، ودرس «الاجتثاث الثقافي» لهؤلاء الهنود المعرَّضين لموجة الحداثة.

ومـن محصّلة أبحاثه الميدانية نشر في سـنة 1950 كتاب «**طفولـة ومجتمع**»، حاول فيه تجاوز نظرية فرويد، وذلك بالتشـديد أكثر على دور التفاعلات الاجتماعية في بناء الشـخصية. فاعتبر أنّ الهُويّة الشـخصية تتطوّر مع تطوّر عمر المرء. وأشـار، للمـرّة الأولى، إلى أنّ هناك ما يمكـن أن نطلـق عليه «أزمة الهُويّة»، وهي تتطابق مع تحوّل يقع في مسـيرة تطوّر الهويّة. وأنّ مرحلة المراهقة هي المرحلة الحرجة التي تشتدّ فيها أزمة الهُويّة. بيد أنّ هذا لا يمنع من أن تحدث أزمات هويّة في مراحل لاحقة بحسب الظروف التي يتعرّض لها الفرد.

اتّسـعت مسـاحات النقاش حول الهويّة، وكـثر المجتهدون[5] من حقـول معرفيّة مختلفة في مقاربتهـا. وكان لهم فضـل في فتح آفاق معرفية معمّقة حول المصطلح في إطار علاقته بالكثير من القضايا والإشكاليات. فهناك من عني بعلاقة الهُويّة بنظرية الدوار، وهناك من بحث موضوع الهُويّـة من خلال علاقته بموضـوع الجماعة المرجعية، وعلاقة الهُويّة بالحضـارة، كذلك الهُويّة في مواجهة التمييز، كالتمييز بين الهويّات الشـخصية، والمجتمعية، والقومية...، والخصوصيات الثقافية، والهويّة والعولمة، الهُويّة في إطار حوار/صدام الحضارات/الثقافات.

تعكس الهُويّة السمات العامة التي تميّز شعباً أو أمّة أو فرداً.. هنا لا يختلف أحد على مفهوم الهُويّة، بيد أنّ الاختلاف يبدأ مع مَن يعرّف الهُويّة بهذا التعريف ويصمت من دون أن يضيف أن هذه السمات "ثابتة ومستمرّة لا تتبدّل ولا تتغيّر مهما طال الزمن"

2 . مفهوم الهُويّة بين التطوّر وتراوح النظر إليه

في المحصلـة المعرفية الأخيرة، نقارب مفهوم الهُويّـة في ضوء تقصّي المصادر العلمية التي

4 عالم نفس ألماني صاحب «**المراهقة والأزمة: في البحث عن الهويّة**». وهناك اتّفاق على أنّ إريكسون قد أثرى مفهوم الهويّة إلى حدّ كبير. وأبدع في مقاربته للمفهوم بأكثر من معنى كما يلي: أولاً بمعنى: «التشابه أو وحدة الشخصية». وثانياً بمعنى: «حقيقة الشـيء أو كون الشـيء موثوقاً فيه». ولديه فكرة تقول إنّنا نبلغ معنى الهويّة عندما يشعر الفرد بعمق وقوّة أنّه نشطٌ وحيّ، وأنّ الصوت في داخله يتكلّم ويقول: «هذا هو واقعي وحقيقي وأصلي». وفي أماكن أخرى كان يوازي الهويّة «بالمشاعر الذاتية المتفاقمة». وقد ظلّ إريكسون يعمل على تطوير مقاربته لمفهوم الهويّة حتّى وفاته. والأكثر متابعة تمثّل فـي الكثيـر من الاجتهادات حول مفهوم الهويّة حيث يمكن مراجعة ما كتبه حول جيدنز في اجتهاده حول الهويّة في زمن ما بعد الحداثة.

5 يمكن أن نذكر في هذا المقام: كلود ليفي شتراوس، ورونالد روبرتسون، وبرايان تيرنر، وبيكو باريك، وفيزرستون، وبيتر بيرجر، ودافيد هارفي،وأنجين إسين، ودافيد ميللر، وبروبيكر.

تناولت هذا المفهوم بموجاته المعرفية المتعاقبة،[6] والتي تجسّدت في الكثير من الاجتهادات النظرية والتفسيرات الفكرية، وتبلورت من ثمّة في تيارات واتجاهات متنوّعة، يمكن أن نُجمِلها في رؤيتين كبيرتين. لكن قبل ذلك، نقدّم تعريفاً أولياً للهويّة.

تعكس الهُويّة السمات العامة التي تميّز شعباً أو أمّة أو فرداً. في هذا الإطار، لا يختلف أحد على مفهوم الهويّة. بيد أنّ الاختلاف يبدأ مع مَن يعرّف الهُويّة بهذا التعريف ويصمت من دون أن يضيف أن هذه السمات: «ثابتة ومستمرّة لا تتبدّل ولا تتغيّر مهما طال الزمن». حيث خرج مَن لا يقبل بهذا المنطق ويضيف على التعريف السابق عبارة « في مرحلة تاريخية معيّنة»؛ على اعتبار أنّ هذه السمات ليست مطلقة وأنّها خاضعة للتأثّر بتفاعلات السياق المجتمعي ووقائع الإطار التاريخي واشتباكات المسرح السياسي.. حيث الهُويّة في هذه الحالة تستجيب لطبيعة هذا الواقع، فإذا كان متقدّماً تظهر الهُويّة على أفضل ما يكون والعكس صحيح. وهكذا تبلورت تاريخياً، رؤيتان/نظرتان نحو الهُويّة هما: **الرؤيةالسكونيّة؛ والرؤية الديناميكيّة.**

ويمكن القول إنّ هاتين الرؤيتَين قد تراوح الأخذ بهما بين الاتجاهات الفكرية والثقافية والدينية والتيارات السياسية، وإن بدوافع مختلفة. فقد انقسمت الرؤى الفكرية التي تعاطت مع مسألة الهُويّة بين ما يمكن أن نطلق عليهم «السكونيّين» وبين «الديناميكيّين». كما تعبّر كلّ رؤية عن لحظة تاريخية في تاريخ البشرية، تعكس النقلات التي شهدها المجتمع الإنساني منذ ما قبل المجتمع الحديث، إلى مجتمعات ما بعد الحداثة.

في القديم كانت الهُويّة تتحدّد في ضوء السمات الثقافية الموروثة؛ أمّا في زمن التغيّرات المطّردة، فقد اختلف الأمر، وبعدما كانت هي التي تسم الفرد بالمعنى وتدعمه بالخبرة ممّا ورثه من قيم، باتت الهُويّة تتحدّد نتيجة الموروث وتُشكِّل المعاني للفرد

أولاً: الرؤية السكونيّة

ونقصد بها الرؤية التي يرى أنصارها أنّ الهُويّة « تستمد كينونتها وتتشكّل ملامحها وتتبلور طبيعتها وفق مرجعية مطلقة من خارجها. قد تكون هذه المرجعية: عرقاً أو ديناً أو قوميةً أو موقعاً جغرافياً أو تاريخاً ثقافياً. حيث تظلّ الهُويّة على ولائها لإحدى هذه المرجعيات أو بعضها. ويكون دأب «الذات/الذوات» الحاملة لهذه الهُويّة أن تحافظ عليها وتدافع عنها. وأن يكون جلّ اهتمام المرء/الجماعة الإصرار على الإبقاء على ملامحها الأساسية وعدم القبول بأيّ تغيير يطرأ عليها لأنّ هذا يعني التفريط في الذات نفسها.

في هذا المقام، دلّل تشارلز تايلور[7](1931 -) على الكيفية التي يدافع بها السكونيون عن هويّاتهم «الوجودية/الأنطولوجية» واستمراريّتها من دون أيّ إخلال بها. وذلك من خلال أمرين هما:

---

6 نقصد باستخدام تعبير «الموجة المعرفية» في الإطار البحثي، حجم الاجتهادات التي أنتجتها الماكينة المعرفية الكونية حول موضوع ما على مدى زمني يبعدنا تماماً عن المصادر الأولية التي لم نزل لا نعرف غيرها. حيث إنّ الزمن البعيد الذي صدرت فيه المصادر الأساسية قد تجاوزته مصادر جديدة صدرت في مراحل زمنية تالية إلى وقتنا هذا. ونقيس هذه المراحل بتعبير «الموجات المعرفية» حيث إنّ بعض الموضوعات يمكن أن تكون قد مرّت بأربع موجات معرفية مثل موضوع التحوّل الديمقراطي الذي صارت له أدبيات يمكن تمييزها عن الأدبيات الكلاسيكية للديمقراطية. ومن هذه الموضوعات أيضاً: الهويّة. ونذكر هنا مرجع مانويل كاستلز المهمّ :»عصر المعلومات...الاقتصاد، المجتمع، الثقافة، بمجلّداته الثلاثة. حيث خصَّص المجلّد الثاني لدراسة موضوع الهويّة، وعنونه بـ»**سلطة الهويّة**» The Power of Identity.

7 نشير إلى أهمّية مساهمات تايلور في تتبّع تحولات الهويّة واضطراباتها من خلال التطوّرات التي حلّت بالمجتمع الإنساني. ونشير في هذا المقام إلى مجلّده العمدة: "**منابع الذات: تكوّن الهويّة الحديثة**"، ترجمة حيدر حاج إسماعيل، المنظّمة العربية للترجمة، بيروت 2014. وقد استفدنا من الدراسة الشاملة لأعمال تشارلز تايلور التي أبدعها مصطفى بن تمسك، وهي "**أصول الهويّة الحديثة وعللها: مقاربة شارلز تايلور نموذجاً**"، جداول، بيروت،2014. حيث يتتبّع نشأة الهويّة الحديثة والفردانية عبر تاريخ الفلسفة وتاريخ العقليات، وبحسبه فإنّ الهويّة في زمننا الراهن تقوم على: أولاً، اكتشاف / ابتكار المكنون الإنساني؛ ثانياً، تثمين الحياة في كلّ أحوالها؛ ثالثاً إدراك أنّ الهويّة الحيّة لا تكون في سياق عادل وحرّ وديمقراطي.

الأول: الاســتقرار الكوني؛ حيث يرى الســكونيون نظام الكون وعناصره مستقرّة وغير قابلة للتغيــير مطلقــاً، من جهــة. ومن جهة أخرى، أنّه تمّ اكتشــاف كلّ أسرارهــا ولم يعد هناك ما هو مخفــيّ. ولأنّهم يتمثّلون هذه النظرة، عن قناعة حقيقية، نجدهــا تنعكس على هويّاتهم، ويتولّد لديهم يقين بأنّ هويّاتهم في تمام الانســجام مع الكون. ما ينشــأ عنه رابطة قسريّة بين الهُويّة ونظام الكون. وعليه، تُصبح الهُويّة الذاتية نســخاً للطبيعة الكونية. وأي تغيير إرادي أو القبول بتجديدها يُعَدّ خروجاً عن سنن الله والطبيعة والكون.

الثاني: الثبات المجتمعي؛ ويقصد به أنّ المجتمع بتجلّياته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافيــة هو أشــبه بـــ» قدر معطى»، بحســب تايلور، علينا قبوله كما هــو. فالفقراء عليهم أن يظلّوا هكذا، ويكون الحمد على ما هُم فيه إحدى سمات الشخصية السائدة وملمحاً رئيسياً لهويّة المــرء، وتحديداً الفقير. ويترتّب على ما ســبق أن تظلّ الطبائع ثابتــة والأدوار المجتمعية محدَّدة ســلفاً. ولا سبيل لتغيير المقادير المقرَّرة ســلفاً، لأنّ ذلك يُعَدّ تمرّداً على نواميس اللوجوس وعلى أحكام العدالة الماورائية التي كرّســت عبودية دائمة وســيادة أبدية، وأخيراً هويّة ساكنة: متصلّبة وجامدة. في مقابل «السكونيّين»، نجد «الديناميكيّين» ورؤيتهم الديناميكية.

كلّ خصوصية معبّرة عن أحد أشكال التنظيم الأولى، تحاول أن تشكّل ذاكرة تاريخية خاصّة بها.. هكذا، وبدلاً من أن تكون هناك هويّة واحدة جامعة وخصوصية واحدة تهدف إلى تبلور رؤية مشتركة للعالم وللذات الحضارية، نجد رؤى متعدّدة متجاورة أو متنافسة أو نافية لبعضها البعض

ثانياً: الرؤية الديناميكيّة

سادت الرؤية الســكونية لهويّة المجتمعات ما قبل الحديثة والحديثة. ولم تعرف الإنسانية الرؤيــة الديناميكيــة إلّا مع ميلاد الحداثــة. وقد اقترنت بحدثَين متلازمَين هــما: «الأول يتمثّل في الانقطــاع الكلّي عن العالم القديم وهجر ترســانته الميتافيزيقيــة الثقيلة. أمّا الثاني فيعلن ميلاد الذات والذاتية الظافــرة». وقد كان لهذين الحدثَين أثرهما في «أفول ميتافيزيقا الهويّة، وتبعاً لذلك انهيار قيم العبودية والإقطاعية والأرســتقراطية القائمة على نظرية ثبات الطبائع والأدوار الاجتماعية. أمّا الحدث الثاني فقد أدّى إلى تنامي قيم الحرّية والمساواة القانونية». ما أطلــق وعياً تاريخياً بأولويّة «الهُويّــة الفردية المتحرّرة من: المحرّمات، والمراجع المطلقة، و»كلّ أشــكال التبعية الســلبية المعطِّلة للكينونة عــن الإبداع والانطلاق الحرّ وفــق إرادة الفرد الحرّ المســتقلّ. لذا أصبحــت الهُويّة حرّة الحركة تكتســب ملامحها من حياةٍ إنســانية خارجة على النــصّ. فلقد فرضت الحداثة البازغة على الإنســان «أن يكون إنســاناً على طريقته الخاصّة»، أو ما يصفه تايلــور «بالأنوية المركزية Egocentrism". حيث يتمحور الفرد حول ذاته، وفي ضوء ما يمليه عليه عقله، المتحرّر من كلّ المســلّمات والســلطات، تتشكّل هويّته، ورؤاه للواقع والمجتمع والعالم.

بهــذا المعنــى، يمكن القول إنّ مجتمعات ما بعد الحداثة قد أملت على الإنســان أن يحرّر ذاته من "ثقل الهويّات الجاهزة". وفي هذا يقول تايلور ما نصّه: "رافق ميلاد الهُويّة الذاتية شــعور بالغبطــة والقوّة، لأنّ الذات لم تعد مقيَّــدة في تحديدها بنظام خارجي. وفي الوقت ذاته انصهر مفهوم الذاتية الحديثة بمفهوم الحرّية الجديدة".

وهكذا لم تعد الهويّة: "موروثاً مغلقاً ســاكناً معــزولاً عن التاريخ وما يطرأ فيه من تحوّلات، وإنّما حالة ديناميكية منفتحة على الواقع، تكتسب ملامحها وشرعيّتها من ذاتها الحرّة".

3 . تحوّلات ما بعد الحداثة الراديكالية والرؤية الجدلية للهويّة

مع نهاية التسعينيّات من القرن الماضي، بات واضحاً أنّ سؤال الهويّة، الذي ثار مع منتصف القــرن الثامــن عشر، ظلّ مطروحاً، وأنّ البشرية تســتعدّ لدخول الألفيــة الجديدة ولم تزل هناك حاجة لإجابة جديدة عن هذا الســؤال. فلا الرؤية الســكونية ولا الرؤيــة الإيجابية قدّمتا إجابات

نهائية لسؤال الهويّة، أو بالأحرى لأسئلتها التي تراكمت وتعالت مع تعقّد المجتمع الإنساني. ولم يعد إنسان زمن/ مجتمع المعلومات يعيش حياة حدّية تجعله سكونياً تجاه الهُويّة أو ديناميكياً بقدر ما دفعته إلى أن يكون في حالة جدلية بين التمسّك بالهويّة كنواة صلبة تعينه في مواجهة التغيّرات المطردة وبين تحوّلات الهُويّة ذاتها بفعل بلوغ المجتمع الإنساني حالةً حداثية عليا تتجاوز ما بعد الحداثة بمراحل أو ما وصفه جيدنز "الحداثة الراديكالية" Radicalised Modernity. ففي هذه المرحلة تجد الفرد يمارس عملية بناء مركّبة لهويّته الذاتية تقوم على السمة ونقيضها في آن واحد، باعتبار ذلك عملية انعكاسية لمواجهة التحوّلات الجذرية التي تحلّ على البشرية بتناقضاتها.

في هذا السياق، يضع زيجمونت بومان (1925 -) يده بدقّة على أزمة الإنسان المعاصر في مجتمع الحداثة الراديكالية من خلال مقولة مكثّفة تقول:"إذا كانت مشكلة الهُويّة الحديثة هي كيف نبني هويّة ونحافظ عليها صلدة ومستقرّة، فإنّ مشكلة الهُويّة ما بعد الحديثة هي بصورة رئيسية كيف نتفادى الثبات ونحافظ على الخيارات مفتوحة". ذلك لأنّ السياق الذي يُطرح فيه سؤال الهُويّة قد بات يُطرح في سياق يتّسم بالتعقيد والتداخل والتراكب يمكن أن نرصد أهمّ سماته كما يلي:

أولاً: اختلاط الصراع الإنساني من أجل الثروة والمكانة السياسية والتطلّعات التي كانت تميّز البورجوازية التاريخية والطبقة العاملة منتصف القرن التاسع عشر/مطلع القرن العشرين، بالصراعات الجديدة مثل: العرقية، والإثنية، والما قبل قومية... إلخ، من جهة. والحركات والتشكيلات الجديدة الاحتجاجية الاجتماعية، والمناهضة للعولمة، والحقوقية، والمدافعة عن البيئة، والتي تشكّلت بعيداً عن الأنساق القديمة، المدنية والسياسية، من جهة أخرى.

ثانياً: سطوة الاستهلاك والامتلاك، وتكوّن ما يُعرف "بسيكولوجية الرغبة"، ما أخلّ كثيراً ببنية الهُويّة الفردية، وإصابتها بالكثير من الأعطاب.

ثالثاً: أدّت ثورة المعلومات والاتصالات إلى انتقال الإنسان المعاصر إلى زمن الواقع الافتراضي والتواصل الاجتماعي خارج التقنيات والوسائل التقليدية، ما أدّى إلى تبلور هويّات مغايرة لزمن الثورة الصناعية. هويّات تتّسق مع ميل الفرد إلى خلق عالم خاص به يشكّل ملامحه بنفسه. وهو الأمر الذي استفادت منه المجموعات والجماعات ذات المطالب الخاصّة أو التي تعاني تمييزاً أو صاحبة مشروع إقصائي.

وبالنتيجة، تعرّض العالم إلى "انقلاب" حادّ، بحسب تعبير برتران بادي، كان له تأثيره الشامل الذي من ضمنه التأثير على الهويّة: تكوّنها وعلاقاتها.

وقد يسّر في انتشار "الانقلاب " في جسم العالم المعاصر، كتابات انطلقت من القوّة التي ظنّت أنّها انتصرت في صراعها العالمي. وذلك من خلال كتابات من عيّنة: نهاية التاريخ، وصدام الحضارات، حيث أسّست الأولى للهيمنة المطلقة لقوّة منفردة وحيدة، والثانية للحدود الدموية على أُسسٍ دينية ومذهبية وثقافية وعرقية.

كان هناك من يميّز بين التحوّلات الكونية الحقيقية التي جرت بفعل ثورة الاتصالات والانتقال، وأفضت بالفعل إلى زمن جديد، ومحاولة قوى المركز التغطية على المصالح الحقيقية، والاستفادة بالتالي من أثر هذه التحوّلات وتوظيفها للتعمية على استمرار هيمنتها.

من هؤلاء لا بدّ من ذكر مانويل كاستلز، وأمارتيا سِن.

لعلّ تعدّد "الذاكرات" هو من أشدّ ما يواجه وطننا العربي وأخطره، حيث يُعاد تشكيل الخصوصيات، بما يخدم السياسي ويدعم المواقف الصراعية بين الهُويّة المهيمِنة والهويّة المقاوِمة، على حساب التاريخ الحضاري الجامع والمواطنة الفاعلة

4 . كاستلز: الهُويّة في عصر المعلومات: رؤية جديد وثلاث حالات للهويّة

على مدى مجلّدات ثلاثة رصد كاستلز ما طرأ على الاقتصاد والمجتمع والثقافة في زمن المعلومات وفي ظلّ تحرّكات مجتمعية غير مسبوقة، وأولى مسألة الهُويّة اهتماماً خاصّاً في مجلّده الثاني الذي حمل عنواناً فرعياً هو: "**قوّة الهويّة**". فلقد عُني بدراسة الهويّات في علاقتها بالحركات الاجتماعية الصاعدة في كلّ مكان في ظلّ المجتمع الكوني الذي تربطه شبكة معلومات لا سقف لها. وأخذ في الاعتبار التحوّلات غير المسبوقة – تاريخياً- والتي داهمت الدولة والسياسة والديمقراطية في ظلّ العولمة وتقنيات المعلومات، والمدى الذي بلغه التغيّر الاجتماعي في دول العالم. كما أخذ في الاعتبار كذلك الخصومات المتنوّعة التي ظهرت على خشبة المسرح العالمي والتي من أهمّها: "الهويّات المتخاصمة والمتعارضة والمتحاربة"، والتي تبيّن أنّ الهُويّة باتت رافعة أساسية لتغيير الواقع لكثير من الجماعات في كثير من الأماكن. ومن هنا ركّز كاستلز على ما أطلق عليه: "التناقض الديناميكي" بين الشبكة(شبكة المعلومات) والذات، وكيفية تبلْور الهُويّة التي تنمو قوّتها / سلطتها في تضفير العمليات الاجتماعية التي تفسّر العولمة، والجغرافيا السياسية، والتحولّات الاجتماعية.

ومن ثمّ، التقط كاستلز فكرة مهمّة تتعلّق بمصدر الهُويّة الراهنة، حيث أرجعها إلى الفعل الاجتماعي وإلى حركة الفرد/الجماعة في المجتمع. ففي القديم كانت الهُويّة تتحدّد في ضوء السمات الثقافية الموروثة، أو الأدوار التي تُعدّ سلفاً وفق القيم الثقافية. أمّا في زمن التغيّرات المطردة، فإنّ «بناء الهويّة» اختلف. فبعد أن كانت الهُويّة هي التي تسم الفرد بالمعنى/المعاني وتدعمه بالخبرة ممّا ورثه من قيم ثقافية أو ملامح مميزة أو أدوار يتمّ توارثها جيل بعد جيل، باتت الهُويّة تتحدّد نتيجة الموروث وتُشكِّل المعاني للفرد، وتَسمح بالتفاعل مع فعله الاجتماعي من خلال عملية هي في غاية من التعقيد تتناغم فيها الهُويّة والأدوار بحسب الموقع الذي ينطلق منه الفرد والقضية التي يدافع عنها. بلغة أخرى تُحدّد الهُويّة المعنى وتنظّم طريقة التعبير عنه. كما يفعل الدور وظائف المعاني في الواقع العملي بحسب الحاجة والموقع في البناء المجتمعي في لحظة تاريخية معيّنة وفي مكان بعينه.

ويتّفق كاستلز مع كلّ مَن سبقه في أنّ الهُويّة تُبنى. ولكن كيف، ومن ماذا، وممّن، ومن أجل ماذا؟ فما الجديد الذي يضيفه كاستلز في هذا المجال.

لا يختلف كاستلز عن القائلين بأنّ بناء الهويّات يعتمد على عناصر من: التاريخ، والجغرافيا، والبيولوجيا، والتكوينات القرابية، والجماعات الأوّلية، والذاكرة الجمعية، والموروث الديني، والابتكارات والمخيّلات الشخصية، والأدوات السلطوية المتاحة..إلخ. إلّا أنّه في عصر المعلومات أصبحت هذه العناصر تتعرّض لإعادة تركيب، ولإعادة تنظيم أولويّات المعاني بالنسبة إلى الأفراد، والمجموعات الاجتماعية، والمجتمعات، تبعاً للمحدّدات الاجتماعية الملحّة، وللمشروعات الثقافية المتجذّرة في مجتمع ما وفي لحظة زمنية محدّدة.

وعليه، رصد كاستلز، ثلاثة أشكال أو ثلاث حالات للهويّة في عصر المعلومات، والعلاقة الديناميكية التي تنشأ بينها. وذلك كما يلي:

(1) الهُويّة ذات الشرعية: Legitimizing identity

ويقصد بها الهُويّات المستقرّة السائدة والمهيمنة، والتي استطاعت أن تؤسّس مؤسّساتها

يمكن للفرد أن تتعدّد هويّاته، فضلاً عن انتمائه الديني، فيمكن له أن يكون من بين الأغنياء والفقراء، وأن يكون منتمياً إلى إحدى الطبقات الاجتماعية، وإلى أحد التيّارات السياسية، ويمكنه أن يكون ممتهناً لإحدى المهن، وابناً لقوميّة من القوميات، ومتكلّماً لإحدى المجموعات اللغوية...إلخ، وذلك كلّه في وقت واحد

التقرير العربي الثامن للتنمية الثقافيّة

التقرير العربي الثامن للتنمية الثقافيّة

تقرير سنوي تصدره «مؤسّسة الفكر العربي»، مهمّته البحث في واقع التنمية الثقافيّة على مستوى الوطن العربي، عبر طرح قضايا محوريّة تفرض نفسها على أوضاع الأمّة وأحوالها، راهناً ومستقبلاً. يُعنى تقرير هذا العام بمسألة تحدّيات لمّ الشمل العربي من جديد تحت عنوان: «التكامل العربي: تجارب، تحدّيات وآفاق».

إشكاليّات الهويّة العربيّة وتحدّياتها

قراءة في الهويّة العربيّة والتحدّيات الجوهريّة التي تواجهها اليوم على الصُعد الداخلية لأقطارنا العربية، وما تشهده من أحداث تؤثّر على مكوّناتها الاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية والإثنية؛ فضلاً عن التطوّرات الإقليمية والدولية بالغة التداخل والتعقيد.

مشروع الدولة الوطنيّة

محاولة لقراءة التحدّيات التي تواجه الدولة الوطنية العربية، في مطلع القرن الحادي والعشرين، وما تفرضه قوى العولمة ومتطلّبات الثورة العلميّة والمعلوماتيّة ومستجدّات التقانة التي قرّبت المجتمعات ودمجت الاقتصادات واخترقت الثقافات وكانت لها انعكاساتها على سيادة الدول... إلخ.

الثقافة العربيّة في إقليم مضطرب

البحث في الإمكانات المتاحة للتكامل الثقافي العربي، وأنماطه المتنوّعة ومجالاته كافّة، في ظلّ قراءة للواقع الموضوعي، ولحال التفاعلات الثقافيّة العربيّة المختلفة والمتعدّدة المستويات والتركيبات والطبقات، بخاصّة في عالم ما بعديّات المعولَم والثورة الرقميّة.

التعاون الأمني والعسكري في الوطن العربي

يركّز المحور على أهمّية التعاون الأمني والعسكري في الوطن العربي، وذلك كضرورة تفرضها المتغيّرات التي تشهدها المنطقة، فضلاً عن أهمّية التوازن العسكري العربي المنشود في مواجهة تحدّيات بروز قوى إقليمية بأجندات خاصّة تعمل على فرضها بالقوّة.

التكامل العربي: الأبعاد الاقتصاديّة

قراءة في الاقتصادات العربيّة الراهنة، ونقد أنماط التعاون التي أثبت الواقع أنّها لا تزال على درجة عالية من التبعيّة للعلاقات السياسية.. فضلاً عن دراسة إمكانية إحياء السوق العربيّة المشتركة، وانتقال عناصر الإنتاج (العمل ورأس المال)، وفُرَص التصنيع، ومكافحة الفساد، كمدخل للتكامل الاقتصادي العربي.

التكامل العربي.. جامعة الدول العربيّة

ينطوي المحور على تصوّرات جديدة لإصلاح الجامعة العربية، انطلاقاً من تعديل ميثاقها، والسعي من أجل التأسيس لمفهوم حقوق الإنسان، وربط هذا المفهوم بتحديث علاقة الجامعة بالشعوب العربية، عبر تأهيل المجتمع المدني وتطوير البرلمانات العربية.. فضلاً عن ربط آليات الإصلاح بتجربة المنظّمات الدولية الشبيهة. كما ألحقت بالمحور مادة وثائقية وبيانات صادرة عن جامعة الدول العربيّة.

مؤسّسة الفكر العربي

مؤسّسة دولية أهلية مستقلّة تأسّست في العام 2001م (1422هـ) مقرّها بيروت، وهي مبادرة تضامنية بين الفكر والمال لتنمية الاعتزاز بثوابت الأمّة وقيمها وأخلاقها بنهج الحرية المسؤولة، وتُعنى بمختلف سبل المعرفة والعلوم والثقافة والفنون، وذلك عن طريق توحيد وتطوير ومضاعفة الجهود الفكريّة والثقافيّة والعلميّة التي تدعو إلى تضامن الأمّة والنهوض بها والمحافظة على هويّتها.

مؤسّسة الفكر العربي
شارع الجامع العمري، الوسط التجاري، بيروت
ص.ب.: 524-11 بيروت – لبنان
هاتف: 00 71 99 1 961+ – فاكس: 01 71 99 1 961+
www.arabthought.org – info@arabthought.com

توزيع:
منتدى المعارف alMaaref Forum
بناية "طبارة" - شارع نجيب العرداتي - المنارة - رأس بيروت
ص.ب.: 7494-113 حمرا - بيروت 2030 1103 - لبنان
هاتف: 749140 1 961+ - فاكس: 749141 1 961+
بريد إلكتروني: info@almaarefforum.com.lb

ISBN 978-9953-0-3496-6